

مدرسة مادوروس قاطبة العلماء

د. إيمان شعبان

Chabane.imane@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 01 / 03 / 2022؛ تاريخ القبول: 25 / 05 / 2022

Maduros School, scholar's attractor

Abstract: Madaure or Madauros (currently known as Mdaourouch) is one of the historical cities that has attracted many outstanding people, who in turn contributed to the writing of history, such as Apuleius, the author of the first novel in history “The Golden Ass”, became the first novelist, Saint Augustine also proposed the first biography in the West, as well as Madour’s grammarist Maxime of Madure and Archmartyr Nymphamun of Madaure, the first martyr in Africa who were tortured and killed for Christianity. What pulled in me most with regards to this city is the school from which every one of these personalities and others was graduated, which some accept is like the oldest university in Africa and the second university after Rome. It filled in as a focal point of civilizational radiation in North Africa, which made individuals of the city and the encompassing regions to send their children to study and get an undeniable degree of instruction in writing, language, sentence structure, and so forth. Thus, our review centers around concentrating on the

main characters who moved on from this historical school, and clarifying the role and achievements of each one of them.

Keywords: Madauros ; Apuleius ; Saint Augustine ; Maxime of Madure ; Namphamon of Madaure.

الملخص:

تعد مادور Madaure أو مادوروس Madauros (حاليا يطلق عليها مداوروش Mdaourouch)، من المدن التاريخية التي كان لها الفضل في إنجاب واستقطاب العديد من الشخصيات البارزة، الذين ساهموا بدورهم في كتابة التاريخ، مثل أبوليس مؤلف أول رواية في التاريخ «الحمار الذهبي» وبالتالي يكون أول روائي، والقديس أغسطين الذي قدم أيضا أول سيرة ذاتية في الغرب، إلى جانب النحوي ماكسيم المادوري والأرشماتير نامفامون المادوي أول شهيد في أفريقيا يُعذب ويُقتل من أجل المسيحية. أكثر ما شدني في هذه المدينة هي تلك المدرسة التي تخرج منها جميع هؤلاء وغيرهم، والتي يعتقد البعض أنها أقدم جامعة في أفريقيا وثاني جامعة بعد روما. كانت بمثابة مركز إشعاع حضاري في شمال أفريقيا، مما جعل سكان المدينة والمناطق المحيطة لإرسال أطفالهم للدراسة وتلقي تعليم عالي المستوى في الأدب واللغة والقواعد وما إلى ذلك. ومن هنا تأتي دراستنا بالتركيز ودراسة أهم الشخصيات التي تخرجت من هذه المدرسة التاريخية، وتوضيح دور وإنجازات كل واحد منها.

الكلمات المفتاحية: مادوروس؛ أبوليوس؛ القديس أوغسطين؛ ماكسيم المادوري؛ نامفامون المادوري.

مقدمة:

تقع مدينة مادوروس الرومانية في الجزائر على بعد 7 كلم شرق مدينة مداوروس، وبنحو 40 كلم جنوب ولاية سوق أهراس تحدها من الشمال مدينة الدريعة - أد مولاس - في الفترة الرومانية، التي تبعد عنها بنحو 4،5 كلم، ومن الناحية الشرقية تحدها مدينة تاور - تاقورة - في الفترة الرومانية - والتي تبعد عنها بنحو 16 كلم، وفيما يحدها من الجنوب سلسلة جبلية تمتد من الشرق إلى الغرب (حماد، 2015، ص.13).

ذكرت مادور Madaure أو مداوروس Madauros في كتاب أرسطو Peri Hermeneias والمعروف باسم De Interpretatione، وقد كتب عنها العديد من الجغرافيين مثل بومبونيوس ميلا Pomponius Mela، وجوليوس هونوريوس Julius Honorius الذي أطلق عليها باسم «مادوريس» Madauris، وكذلك جاءت على لسان الجغرافي ايثيكوس ايستر Aethicus Ister وكلوديوس بطليموس Claudius Ptolemy في كتابه «الجغرافيا» حين ذكر العديد من المدن الداخلية الواقعة بين نهر أمبساغاس Ampsagas (نهر الرمال حاليا، يقع في شمال شرق الجزائر) ومدينة تابراكام Thabracam (مدينة طبرقة في

شمال غرب تونس حاليا، وهي قريبة من الجزائر) ، فأطلق عليها مستعمرة مادوروس (Ptolemy, 1991, pp.97-98).
(89).

تم إنشاء مادوروس كمستعمرة رومانية في فترة فلافيان Flavian، وعندما استقرت القوات المخضمة هناك اختلط الرومان والسكان الأصليون وارتبطوا ارتباطا وثيقا، وكان بعض المسؤولين الأوائل في مادوروس أفارقة. (Lee, 2014, p.55) وفقا للإحصائيات جاء ما يقرب من ثلاث أرباع (70 %) من القضاة المدنيين المعتمدين في مادوروس من عائلات من أصل إفريقي، وكانت اللغة البونية لغة مسموعة في مادوروس بقدرها أو أكثر من اللغة اللاتينية. (Bradley, 2012, p.145)

اهتم سكان مادور بزراعة أشجار الزيتون، ووجدت بها مطاحن الزيتون، ويمكننا بالطبع أن نفترض أنها تترأس أيضا في تجارة الزيتون. (Cadotte, 2007, p.129) ان أزهي عهود مادور هي التي عبر عنها ابنها أبوليوس أثناء النصف من القرن الثاني وبداية القرن الثالث، حيث نمت ثروة أعيان المدينة وكثر عمرانها وتبارى أثرياءها في الانفاق على المنشآت المعمارية وتزيين المدينة وإقامة المعالم التذكارية والفنية بها. (الشنيقي، 2002م، ص.419).

أطلق على مادور في فترة فلافيان كمستعمرة رومانية كما هو موضح في النقش رقم ILAlg-01,02152 الذي وجد في مدينة

مداوروش بسوق أهراس حاليا. كتب على النقش ما يلي (بالطبع الحجر مكسور جزئيا لكن بإمكاننا قراءة التسمية كاملة):

❖Colonia Flavia Augusta Veteranorum Madaurensium❖



(Fleury, 2006)

ظلت الثقافة واللغة البونيقية قوية في منطقة مادوروس كما هو الحال في أجزاء أخرى من مناطق افريقيا الرومانية. على الرغم من أن اللغة البونية قد تكون اللغة العامية المعتادة في مستعمرات شمال افريقيا الا أن اللاتينية كانت لغة الخطاب الأدبي والقانوني الرسمي.

(Harrison, 2000, p.2)

كشفت النقوش الإهدائية في مادوروس عن عدد كبير من الآلهة التي يعبدها سكانها من آلهة اغريقية ورومانية. من بين هذه الآثار والأحجار المتبقية نذكر على سبيل المثال:

- كتب على نقش الذي يأخذ رقم ILAlg, I, 4007: Mercurio et Vestae Sacrum... والنقش عبارة عن اهداء للآلهة مارس وفستا (والتي يطلق عليها أيضا باسم هستيا آلهة النار المقدسة).

- نقش رقم ILAlg, I, 2032 يشير فيه إلى الآلهة الأبدية Dea Aeterna.

- نقش رقم ILAlg, I, 2053 - CIL, VII, 4673 مقدم للإله ليليوس أغوست. (Cadotte, 2007, pp.603-604)

من أهم معالم مادور فجلد القوروم (الساحة العامة)، المسرح الروماني بجوار الساحة والحمامات، واشتهرت هذه الحاضرة بكونها منبتا خصباً لرجال العلم والمعرفة بفضل مدارسها التي كان يقوم عليها معلمون بارعون فاقوا غيرهم تحصيلاً. فكانت العائلات الثرية بالمدن المجاورة لمادور حريصة على إرسال أطفالها إلى هذه الحاضرة لمزاولة تعليمهم في فنون تعليمية معينة كاللغة اللاتينية، حيث برز أحد شيوخ هذا التخصص الهام بمادور، وهو ماكسيم الملقب بالنحوي لما كان له من إسهام في تعليم اللغة اللاتينية وقواعدها. (الشنيقي، 2002، ص. 423-436) استقطبت هذه المدرسة العديد من العلماء والباحثين الذين خلّد التاريخ أسماءهم، وكان أبرزهم:

1. لوكيوس أبوليوس المادوري Lucius Apuleius Madaurensis (120-170م):

يعد أبوليوس أحد أكثر الشخصيات فضولا في الأدب الروماني، نحن نعرف القليل من حياته من خلال كتابه *Apologia*، ومن المحتمل تماما أنه في بداية ونهاية روايته *التحولات* قد تحتوي على وصف لوكيوس، بطل القصة على بعض تفاصيل السيرة الذاتية لأبوليوس نفسه (Apuleius, 1915, p.3) وكذلك من التعليقات الموجودة في كتابه *فلوريدا* أو *في السحر* *De Magia*، حيث يدافع عن نفسه ضد تهمة ممارسة السحر. ولد أبوليوس في شمال إفريقيا في مادوروس (مداوروش الحديثة بسوق أهراس، الجزائر) في منتصف 120م. (Gaisser, 2008, p.1)

في بداية أول كتاب من رواية *التحولات* *Metamorphoses* الذي كتبه أبوليوس (والمعروف أيضا باسم الحمار الذهبي *Asinus Aureus*) يدعي الراوي أنه من أتيكا Attica وThessalia، ومن ثم أصبح أفريقي الأصل من نادور Nadaure، أظهر هذا التناقض بشكل كاف أن أبوليوس خلط العديد من تفاصيل هذه الرواية من حقائق من حياته الخاصة. (Pétrone, 1851, p.420) في مكان آخر لم يشر أبوليوس إلى اسم مسقط رأسه. ومع ذلك، هناك إشارة إلى مكان ولادته سواء من خلال شهادة أوغسطين البارزة بشكل خاص، منذ أن درس الأدب

والخطاب في مادوروس، أو من خلال قاعدة تمثال تالفة وجدت في مادوروس مكرسة للفيلسوف الأفلاطوني من قبل مواطنيها جاء فيها ما يلي: [Philosopho Platonico Mdaurenses Cives / ornamento] بمعنى [للاحتفال بالفيلسوف الأفلاطوني من مواطني مادوروس...]. والفيلسوف الأفلاطوني هنا هو أبوليوس الذي كان دائما يستخدم التعبير التالي لتعريف نفسه: Apulieus Madaurensis Philosophus Platonicus أي أبوليوس مادور الفيلسوف الأفلاطوني (Lee, 2005, p.4).

يمكن تخمين الأصول السابقة لعائلة أبوليوس، فقد استمدت العديد من العائلات في مادوروس أسمائها من أسماء أعضاء مجلس الشيوخ الروماني: ومن المحتمل أن عائلته كانت من السكان الأصليين واكتسبت اسمها وجنسيته من جين أبوليا Gens Appuleia الذي كان ملحوظا في أوائل العصر الروماني، وربما جاءت إلى مادوروس كمستوطنين من روما أو من أي مكان آخر عندما تم إنشاء مستعمرة فلافيان كجنود سابقين في حملات. (Harrison, 2000, p.4) وكما ذكرنا سابقا فقد ورد اسم أبوليوس في أربعة نقوش منفصلة وجدت في مادوروس؛ على الرغم من أنه لا يمكن تأريخ أي من هذه العناصر بشكل قاطع باستثناء الفترة الإمبراطورية الرومانية بشكل عام، إلا أن هذا التوزيع يشير إلى أن العائلة كانت راسخة هناك. (Apuleius, 2001, p.02)

يقول أبوليوس في كتابه أنه يتمتع في وطنه بقدر من الشرف والاحترام مثل والده، سافر إلى أثينا وبعد عودته في الخامسة والعشرين من عمره، مكث أبوليوس في مسقط رأسه لمدة أربع سنوات في مادور التي كانت مستعمرة رومانية كما يذكر. (Apuleius Lucius, 1878, vol.2, p.93) كان أبوليوس يتمتع بامتيازات كافية في حياته المبكرة للسفر إلى قرطاج وأثينا وروما من أجل الحصول على التعليم الأدبي والفلسفي الذي نفعه في النهاية إلى التميز. (Bradley, 2012, p.257) وكانت مجالات المعرفة التي خاض فيها متنوعة، وإذا أغضضنا الطرف عن جانب المبالغة الوارد في إحدى النقوش اللاتينية المخصصة لأبوليوس في مادور، فإن الرجل كان ضليعا في الطب والتاريخ والطبيعة والفلك والرياضيات والزراعة والأدب، ونظم الشعر بأنواعه والميادين الفلسفية وكان خطيبا بارعا. (الشنيتي، 2002م، ص. 435)

كان أبوليوس يجيد اللغة اللاتينية وبلا شك أن البونيقية كانت لغته الأم، يقول في روايته الشهيرة الحمار الذهبي:

... هناك عندما كنت صغيرا ذهبت إلى المدرسة أولا وتعلمت الخطاب الاغريقي، بعد فترة وجيزة... وصلت الى الكمال الكامل للغة

اللاتينية... وبدون تعليمات من أي مدرس... (Apuleius Lucius, 1878, vol.2, p.49)

كما درس فن الخطابة في قرطاج التي كانت مسرحا من انتصارات أبوليوس الخطابية بين عامي 412م و415م. (Lee, 2014, p.58) وبعد تعليمه المبكر في قرطاج، أمضى عدة سنوات في الدراسة في أثينا يشرب بعمق كما يقول من فنانين الإلهام:

﴿فنجان الشعر المصنوع من الحرفة، فنجان الهندسة الصافي، فنجان الموسيقى الحلوة... كأس الرحيق لكل الفلسفة﴾ ثم عاد إلى روما ومن ثم إلى شمال افريقيا، ووفقا لكتاب ﴿Apology﴾ جاء حوالي 155م أو 156م إلى بلدة أويا Oea (طرابلس) وتزوج من أرملة غنية تدعى ايميليا بودنتيلا Aemilia Pudentilla والدته صديقه سيسينيوس بونتيانوس Sicinius Pontianus وهو صديق قديم من أيام دراسته في أثينا. (Gaisser, 2008, pp.1-2)

وفقا لأبوليوس، قد ورث ثروتها وأدى ذلك إلى رفع دعوى قضائية ضده من قبل أهل زوجها الذين اتهموه بأنه كسب عواطفها عن طريق السحر. (Finkelpearl, 2012, p. XII) وفي أواخر 158م أو أوائل 159م، تم تقديمه إلى المحكمة، كانت التهمة خطيرة لأن الشعوذة كانت جريمة يعاقب عليها بالإعدام، دافع أبوليوس عن نفسه وبتجاح واضح. (Gaisser, 2008, p.3). كتب أبوليوس في هذا الصدد في كتابه ﴿Apology﴾ يتحدث عن المناقشة التي دارت في المحكمة، على سبيل المثال يقول :

... في الحقيقة، كانت افتراءات خصمي تبدو للوهلة الأولى مظهرًا
للجاذبية... اتهموني بالتعاون السحرية... بعد أن أدركت أن هدفهم لم
يكن الذهاب إلا للتسبب في الفضيحة... أخذت زمام المبادرة وأخطرتهم
من خلال الاستدعاءات المتكررة، لبدء الإجراءات فجأة.... (Apulée,)
(1960, p.1)

استقر بعد ذلك في قرطاج، حيث سافر عبر مدن إفريقية مختلفة
لإلقاء المحاضرات الفلسفية وباللغة اللاتينية بدلًا من اليونانية. كانت
اهتمامات أبوليوس قبل كل شيء تتمحور حول الدين والفلسفة
والسحر. (Apuleius, 1915, p.V). وكان أبوليوس مهما بدرجة كافية
كفيلسوف لربح تمثالا واحدا على الأقل تكريما له، حيث أعلن أنه
﴿فيلسوف أفلاطوني﴾ كان جزءا من الحركة الفلسفية المعروفة باسم
﴿الأفلاطونية الوسطى﴾ والتي استمرت في تطوير أفكار أفلاطون من
القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي، والتي يشرحها
أبوليوس في De Deo Socratis شرح فيه الكتابين: De Mundo و Pen
(Finkelpearl , loc.cit.) . Hermeneias

أبوليوس هو قبل كل شيء راوي قصص، يعبر عن نفسه في
السرد والصور، من بين الملذات التي يقدمها تعزيز القيم الأخلاقية
والفلسفية والدينية التي يشرك فيها المؤلف وجمهوره. في بداي رواية
﴿التحولات﴾ يخبر الراوي لوسيوس القارئ أنه سيجمع قصصا مختلفة

معا، ولا يقدم أي اقتراح بمخطط واحد أو شامل، يشرع في سرد تجاربه على مدار عامين وسعيه وراء السحر وتحوّله إلى حمار، فيضع سلسلة من المغامرات والتي في آخرها يستعيد حالته الطبيعية. يوفر هذا السرد اطارا يتم فيه وضع العديد من الحكايات التابعة والتي يتم سردها من قبل أو عن أشخاص مختلفين يواجههم بطل الرواية. (David A-Graff, loc.cit)

تعد قصة Cupid and Psyche من أشهر القصص التي كتبها أبوليوس في رواية التغيرات، والتي استوحيت منها العديد من القصص الحديثة كالأميرة والوحش، سندريلا، عروسة البحر والقصة الألمانية رامبيل ستيلتسكين Rumpelstiltskin، وأرى أن بياض الثلج أيضا أخذت جزءا من قصة أبوليوس.

من المحتمل أن هذه التشابهات ترجع إلى جامعي الحكايات الشعبية مثل شارل برولت Charles Perrault والأخوين غريم Brothers Grimm الذين قرأوا قصة Cupid and Psyche. كان استقبال قصة أبوليوس في الأدب والموسيقى والفن واسع النطاق، واشتهرت كيوبيد عند إعادة اكتشافها في عصر النهضة الإيطالية. (Gagarin, 2010, p.339) وروجت من قبل جان دو لافونتين Jean de La Fontaine في عام 1669م، وكان الدراميون الفرنسيون المعاصرون مثل مولير في 1671م وكورنيل في 1678م قد أقاموا بالفعل بتكييف أسطورة كيوبيد

على المسرح. (Accardo, 2002, p.70) ظهرت العديد من الإصدارات الشعرية، والأوبرا واللوحات الجدارية التي تروي القصة التي أنتجتها رفايل لفيللا فارنيسينا في روما وجوليو رومانو من أجل قصر Palazzo del Te في مانتوا Mantua. كما استخدمت القصة في أدب القرن 19 في قصيدة جون كيتس John Keat's، وفي قصائد ويليام موريس وروبرت بريندجز، وفي الفن بدءا من النحت الكلاسيكي أنطونيو كانوفا وبريتل توروالدسن، وفي الرسم السير ادوارد كولي بيرن جونز وجون ويليام ووتر هاوس. (Gagarin, loc.cit)

فقدت العديد من أعمال أبوليوس مثل رواية Hermagoras، تعمل على الأمثال، وخطاب كامل عن الأسماك De Piscibus، وأطروحات عن الزراعة، وعلم الفلك، والموسيقى التي تظهر بشكل متكرر في أعماله، وعلم النباتات، والشعر، والحساب وعمل يسمى Eroticus، بعبارة أخرى كان أبوليوس متعدد المواهب، ومفكرا ذا تنوع كبير. (Finkelpearl, loc.cit)

2. القديس أوغسطين Saint Augustine (354-430م):

ولد أوغسطين في عام 345م بمدينة طاجاست Tagasta (سوق أهراس، الجزائر) في نوميديا، وتوفي في سنة 430م. (Burton, 1831, p.184) دخل مدرسة مادوروس (مسقط رأس أبوليوس) في 369م، وفي 373م درس في طاغاست، وسافر أيضا للتعلم في عام 376م بقرطاج

زمن ثم سافر إلى روما وعين في عام 348م بميلانو أستاذا للبلاغة.
(Whitworth, 2017, p.384)

وفقا لأوغسطين، كان والده وثنيا افريقيا، ولكن تم تعميده
على فراش الموت عندما كان أوغسطين في السابعة عشر من عمره،
وكانت والدته مونيكاً مسيحية متحمسة. كان لأوغسطين أخ يدعى
نافيغيوس Navigius وأخت بربتوا Perpetua والتي أصبحت فيما بعد
رئيسة دير النساء في هيبون، وربما امتلك أشقاء آخرين. (Green, 2010, p.236)

تعلم من والديه أصول الكلام والقواعد والقراءة والكتابة ثم في
مرحلة ما، ربما في سن السادسة أو السابعة تقريبا، بدأ في الالتحاق
بمدرسة ابتدائية محلية في طاغاست، حيث بدأ في استيعاب المؤلفين
الكلاسيكيين بشكل جدي. (Worth, 2013, p.89) يقول أوغسطين أنه
تعلم التحدث بنفسه في صغره وذلك من خلال السمع.

﴿أتذكر هذه الحالة... لاحظت كيف تعلمت الحديث، وأنه لم يعلمني
كبار السن بأي طريقة أو بأي درس، كما فعلوا لي بعد فترة وجيزة
ليعلموني القراءة، ولكن بقوة الذكاء الطبيعي الذي وضعته في، يا
إلهي... بدأت أفهم وألاحظ أنه نظرا لأننا نتحرك نحو أشياء معينة عند
سماع صوت كلمات معينة، كان من الضروري أن هذه الكلمات هي

الأسماء التي تم التعبير بها عن هذه الأشياء... فهمت ما تعنيه
كلماتهم... (Saint Augustin, 1838, p.18).

في المدرسة، كان أوغسطين طالبا لامعا تقدم بسرعة إلى أعلى
مستويات النجاح الأكاديمي، على الرغم من ذكرياته عن طفولته المبكرة
التي كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالذاكرة المؤلمة لتعليمه:

لقد تعرضت للضرب... [و] اضطرت إلى اتباع الدورات
الشاقة بزيادة والكدح والحزن. (Kim, 2012, p.13)

وفي عامه الحادي عشر استثمر والده باتريسيوس Patricius ووالدته
مونيك في تعليمه، وأرسله بعيدا إلى مدرسة مادوروس، وجمعوا له
الأموال لتعليمه العالي، كانوا يأملون أن يؤدي هذا إلى مهنة في الخدمة
المدنية الإمبراطورية، والتي ستستفيد منها الأسرة بأكملها. (Clark, 2015, p.11)

في مادوروس، كان تركيز تعليم أوغسطين على قواعد اللغة
وبنية الحجة المقنعة، كانت الطريقة تهدف إلى تطوير فهم كامل ودقيق
لمعاني الكلمات واستخدامها من خلال دراسة أعمال الكتاب اللاتينيين
الكلاسيكيين، فتعلم على ظهر قلب مقتطفات من الخطيب الروماني
شيشرون Cicero، كما تعلم مبادئ الخطابة والمناظرة، هنا تم وضع
الأسس لأوغسطينوس في التحدث والكتابة والوعظ. (Knowles,)

36-37, pp. (2004) في صغره كان يكره تعلم اللغات الأجنبية والتاريخ اليوناني، فيقول في ذلك:

﴿ كما أرغمت على درس هوميروس، ان الصعوبة في درس لغة أجنبية والتعمق فيها يدسان مرارتهما في ظرافة الخرافات اليونانية. لم أكن أعرف كلمة يونانية واحدة لكنهم دفعوني قسرا إلى دراستها... لقد كنت أجهل صغيرا الكثير من الألفاظ اللاتينية؛ لكنني تعلمتها... عن شفاه المربيات ومن أحاديث الذين يداعبونني في جو من المرح واللهو ﴾ (أوغسطينوس، 1991م، ص. 22)

لما بلغ عامه السادس عشر توقفت دراسته في مداوروس ليتوجه إلى قرطاج لتعلم الأدب والخطابة، أنفق والده أموالا تتجاوز موارد تركته عندما كان ذلك ضروريا لتمويل تعليم يستلزم رحلة طويلة، كثيرا من المواطنين ذوي الثراء الفاحش لم يفعلوا شيئا من هذا القبيل لأطفالهم كما يذكر أوغسطين. (Whitworth, 2017, p.26) توفي بعدها والد أوغسطينوس، وتم تمويل دراسته في قرطاج من قبل والدته مونيكا التي دفعت الرسوم، لكن لم تكن كل ممتلكات العائلة كافية للتمويل فدفعت مونيكا من ممتلكاتها وساعده أيضا جاره رومانيوس Romanius، الذي كان أكثر شراء. (Clark, 2015, p.36). يقول عنه أوغسطين في كتابه ﴿ الاعترافات ﴾:

﴿... كان البعض بيننا من الأثرياء للغاية، وخاصة رزمانوس من بلدتنا الأصلية، والذي اضطر في هذا الوقت للقدوم إلى المحكمة بسبب مشاكل خطيرة تتعلق بممتلكاته، منذ سنواتي الأولى كان أكثر الأصدقاء حميمة، فقد قدم دعما مهما، وكان له تأثير كبير في الاقتناع لأن موارده المالية كانت أكبر بكثير من موارد أي شخص آخر﴾ (Saint Augustine, p.108)

كان أوغسطين متشعبا بالأدب اللاتيني، ومتعلقا بالدنيا ومتاعها، دفعه طموحه صوب روما، فأنشأ فيها مدرسة للبيان، وفيما هو في ذلك غرض لمسابقة منصب أستاذ للبيان في ميلانو، ففاز به وأخذ يذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية ويسمع إلى عظات أسقف المدينة والقديس أمبروز. (عويضة، 1993م، ص.29) والتي كانت تدور على شرح الكتاب المقدس والرد على المانويين، فوجد أوغسطين أن الكاثوليك أحسن عرضا للكتاب ودفاعا عنه، فتراخت علاقته بالمانوية واستعان بالفلسفة الأفلاطونية في حل مشكلات عقلية كانت تحوم بينه وبين المسيحية (كرم، 2012م، ص.23-24).

لما بلغ أوغسطين من العمر ثلاث وثلاثون سنة، كرس نفسه في خدمة المسيح والمسيحية وشرع في تفهم المسيحية على ضوء ما اهتدى إليه من فلسفة، من مؤلفاته: ﴿أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين﴾، ﴿سفر التكوين ردا على المانويين﴾، وكتاب في الحرية،

﴿كتاب التثليث﴾، ﴿مدينة الله﴾ للرد على الرومان الذين فقدوا الثقة في المسيحية، وكان أهم هذه الكتب كتاب ﴿الاعترافات﴾ لتكفير عن ذنوبه. (عويضة، 1993م، ص.33، خفتاوي، 2018م، ص.213) يتكون هذا العمل من ثلاثة عشر كتابا، كتبت بين عامي 397م و400م، تلخص اعترافات شباب أوغسطين الخاطئ وتحوله إلى المسيحية. ينظر اليه على نطاق واسع على أنه أول سيرة ذاتية غربية وكان نموذجا مؤشرا للكتاب المسيحيين في العصور الوسطى. (Augustine of Hippo, 2016, p.216)

عاد القديس أوغسطين إلى طاجاست مع بعض أصدقائه، وعاش وياهم عيشة الرهبنة ثلاث سنين، ثم طلب أهل ايونا (من مناطق نوميديا) سيامته كاهنا يرعاهم. (كرم، 2012م، ص. 25). كان أوغسطين من أعظم رجال الكنيسة، والذي استعان بالفلسفة الأفلاطونية لفهم المسيحية وبالتالي طور الفكر اللاهوتي الغربي.

شخصية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ألا وهي مارتيانوس كابيلا Martianus Capella، هذه الشخصية التي بالكاد نجد لها ظهور في المؤلفات العربية عامة والجزائرية خاصة، وإذا ظهرت نجدها في بعض الأحيان تنسب إلى قرطاج عوضا عن مادور (سوق أهراس، الجزائر)، وذلك لعدم اهتمام الباحثين الجزائريين بها على وجه الخصوص رغم دورها الفعال في العصور الوسطى.

3. مارتينانوس كابيلا Martianus Capella (360-428م):

اسمه الكامل مارتينانوس مينوس فيليكس كابيلا Martianus Minneurus Flex Capella والمعروف باسم فيليكس كابيلا في حياته، أما بعد وفاته فعرف بمارتيانوس كابيلا. (Zetzel, 2008, p.303) وفقا للمؤرخ كاسيودوروس Cassidorus (490-585م) ولد كابيلا في مادورا Madaura - التي كانت المدينة الأصلية لأبوليوس - في مقاطعة افريقيا الرومانية (مدينة مادور، حاليا يطلق عليها مداورس بسوق أهراس، الجزائر)، مؤلف كتاب De nuptiis Philologiae et Mercurii (Stahl, 1965, pp.102-115, Freund, 1874, p.159) وهي قصة مفصلة في تسعة كتب، يحكم على أعماله أنها رفيعة المستوى، وأصبحت واحدة من أكثر الكتب انتشارا في العصور الوسطى. (Adkins, 2004, p.248)

تلقى مارتينانوس تعليمه في شمال افريقيا، وكان مسؤولا في الإدارة الإقليمية الرومانية، لا شيء آخر معروف عن حياته. تركز سمعته عن زواج فقه اللغة وعطارد أحد أكثر الأعمال التعليمية تأثيرا في العصور الوسطى، كتب بأسلوب لاتيني صعب ومزهر، والعمل ككل يرمز إلى اتحاد البلاغة والتعلم. (Traver, 2002, p.433) في هذه القصة قدم كابيلا قضية الفنون السبعة: القواعد، البلاغة، الحساب، الهندسة، علم الفلك، الموسيقى، الخطابة. (McCarthy, 1976, p.85)

أصبحت هذه القصة التي كتبها مارتينانوس لابنه لتعريفه بالفنون، كتابا مدرسيا في العصور الوسطى، وتم شرحه بجدية من قبل علماء مثل جون سكوت John the Scot، دونشاد Dunchad، وريميجيوس من أوكسير Remigius of Auxerre، وترجمها راهب يدعى نوثر لبيو Notker Labeo (950-1022م) إلى الألمانية. (Lindsay, 1960, p.26)

كان لهذا العمل تأثير كبير على الفكر والفن في العصور الوسطى. هذه الأطروحة الاستعارية التي تم نسخها بشكل متكرر والتعليق عليها، خاصة في القرنين التاسع والعاشر، تصف مجالات التعليم الكلاسيكي والفنون الليبرالية السبعة في العصور الوسطى. (Ross, 1996, p.43)

في الفصلين الأولين، يروي كاييلا قصة رواها رجل عجوز لابنه عن كيفية اختيار الاله ميركوري Mercury فقه اللغة (أو الحكمة Philologia)، وهي شابة مثقفة، لتكون عروسه. في مادبة الزفاف في السماء يقدم ميركوري (عطار) عروسه مع سبع خاديات متعلقات يجسدن الفنون الليبرالية السبعة، في كل فصل من الفصول السبعة الأخيرة، يتم تقديم واحدة من النساء السبع المتعلقات ووصف فننها. (Kimball, 2010, p.55)

يعود العمل إلى الرمزية والتجسيد، تحيا فيه الفنون الليبرالية، في كتابه الثالث يقدم القواعد نفسها، تم فحص حروف الأبجدية والمقاطع De Syllabis، وأجزاء الكلام De Partibus orationis، كذلك تصنيف

الأسماء والأفعال De Verborum Conivgatione، وأخيرا بعض
الأمثلة عن الشذوذ Da Anomalia. (Stammerjohann, 2009, p.970.)

أشار جيفري شوسر Geoffrey Chaucer، عاش في القرن
14 (ما بين 1343-1400م) والذي يعد من أبرز شعراء الانجليزية في
العصور الوسطى، إلى كايلا وقصته في قصيدته:

❖ همنيوس Hymeneus، هو إله الزواج

لم يرى مثل هذا الرجل المتزوج السعيد في حياته

أصمت لك يا شاعر Marcien (يقصد هنا كايلا)

الذي يصف لنا الزواج السعيد بين فقه اللغة وعطارد والأغاني التي
غنتها الآلهة

إن قلمك ولسانك أصغر من أن يصف هذا الزواج... ❖ (Chaucer, 1908, p.387)

كذلك يشير المؤلف الألماني هاينريش كورنيليوس أجريبا
Heinrich Cornelius Agrippa (1486-1535م) في كتابه إلى كايلا:

❖ قرأت كثيرا في كتب السحرة وأعمالهم وتجاربهم المعينة الرائعة...
الطقوس التي يذكرها ماتريانوس أيضا في حسابه3، بقوله لقد تحركت

أصابع العذراء بكل الطرق والتي بعد أن دخلت قامت بالتعبير عن
سبعمئة عشر رقما بأصبعها المنحنية على كوكب المشتري...
(Nettesheim, 2004, p.816)

أقام مارتينانوس كاييلا بروما وصنف بها حوالي 430 موسوعة
في تسع مقالات، هي أول كتاب أحصى الفنون الحرة السبعة وعالج
كل منها في مقالة، والمراد بالفنون الحرة تلك التي تنشأ من تنظيم أفعال
العقل، تقابلها الفنون العملية. (كرم، 2020م، ص.79) كما كانت
أطروحته Styrricon موسوعة كاملة للثقافة الليبرالية في ذلك
الوقت، وكانت ذائعة الصيت خلال العصور الوسطى. يحتوي الكتاب
على بيان واضح جدا لنظام مركزية الشمس في علم الفلك، ومن
المفترض أن العالم الرياضي والفلكي نيكولاس كوبرنيكوس Nicolous
Copernicus قد اقتبس من كاييلا. (Ben-Menahem, 2009, vol.1,)
(p.441)

يعرف مارتينانوس كمؤسس لنظام تريفوم Trivium
وكوادريفوم¹ Quadrivium في تعليم العصور الوسطى، يعتبر شخصية
رئيسية في تاريخ التعليم والبلاغة والعلوم، وأهميته في الحفاظ على
عقيدة حركات مركزية الشمس لعطارد والزهرة، لم يترجم الكتاب بحد
ذاته مطلقا ولم تتم قراءته بالكامل تقريبا في العصر الحديث الا من قبل
المحررين². (Stahl,1965, p.102)

كان لدى كاييلا جاذبية ثابتة إلى حد ما لمعلمي المدارس اللاتينية خلال العصور الوسطى، لكون كتابه *زواج فقه اللغة وعطارد* كان من أكثر الكتيبات إرضاء لاحتضان جميع الفنون الحرة في شكل موجز في فترات معينة، كان ينظر إليه باعتباره مرجعا رائدا في علم الكونيات وبلغ ذروة تميزه في هذا المجال بين العلماء في القرن الثاني عشر. (Stahl, loc.cit).

4. ماكسيم المادوري ونمفامون المادوري:

ولد ماكسيم المادوري Maxile of Madaure افريقي ولد في مدينة مادور، وهي بلدة ذات شهرة كبيرة في التجارة، أكثر أهمية من حيث أدبائها فلقد شهدت ولادة أبوليوس وماكسيموس وأوغسطين المعاصر لمكسيم. (Voltaire, 1829, p.171) كان ماكسيم معلم الشاب أوغسطين في مدارس تاغاست، سوق أهراس الحالية في الجزائر، وقام بالتدريس في وقت لاحق في مسقط رأسه بمادور. (Lancel, 2019, p.198)

ليس لدينا معلومات حول المعلم ماكسيم المادوري، إذ لا نعرف متى ولد ولا كيف عاش كما نجهل تاريخ وفاته، ولا نعرف عنه سوى تبادل الرسائل الأدبية مع أسقف هيبون أوغسطين، وكان أحد أبرز شيوخ تعليم اللغة اللاتينية وقواعدها بمادور، لقب بالنحوي لما كان له

من اسهام في التفقه في اللغة اللاتينية وقواعدها. (الشنتي، 2008م، ص.436)

لم يكن ماكسيم مسيحي، لكنه وثني، وذلك يفسر سبب توبيخه للقديس أوغسطين لتحويله إلى المسيحي في عام 390م، فسمح لنفسه بكتابة خطابا يهاجمه فيه. ونحن مدينون له بحفظه لنا أسماء رفقاء القديس نامفامون المادوري: ميجين وسانا ولوتياس، الذين ماتوا من أجل ايمانهم بالمسيحية ربما حوالي 180م. (Huard, 1984, p.89)

برزت كذلك شخصية أخرى في مدينة مادور * نامفامون المادوري * Namphamon of Madaure الملقب بالأرشيمايرير Archimartyr بمعنى * الشهيد المهم * (وهو الاسم الأبرز أو القائد بين المجموعة من الشهداء في فترة أو دولة معينة). قدم هذا اللقب لنامفاكون المادوري وسيلة لتمييزه عن الشهداء الأفارقة الآخرين الذين يحملون نفس الاسم. يمكن أن يكون هذا أيضا مؤشرا عن الاحترام الكبير الذي تم الاعتراف به له. (Cavedoni, 1862, p.256)

جاء على لسان ماكسيم المادوري في رسالته إلى أوغسطين ذكر لنامفامون بقوله: *... والأرشيمايرير نامفامون لجميع الآلهة الخالدة: من بين هذه الشخصيات الجديدة والغريبة...*. (Augustinus, 1864, vol.1, p.534)

بناء على الشهادة الوحيدة لماكسيم (لأنه لا يوجد آخرون في هذه النقطة)، كان يعتقد لقرون أن الشهداء قتلوا في مادور، تم تسجيل أسماءهم أيضا من قبل بارونيس Baronius (1538-1607م) في كتابه Martyrologium عام 1586م، وبين المؤرخين تم التوصل إلى الإجماع حول تاريخ الحدث حوالي عام 180م، ويشير إلى نامفامون كأول مسيحي في إفريقيا يتعرض للتعذيب ويموت من أجلها. (Goulet, 1989, p.597)

نستخلص من هذه الدراسة، أن مدينة مادور والتي يطلق عليها حاليا «مادوروش» بولاية سوق أهراس بالجزائر، مدينة ذات طابع تاريخي ساهمت في كتابة صفحات تاريخية بفضل مدرستها التي تخرج منها العديد من العلماء والأدباء كما رأينا سابقا، والذين بدورهم أثروا بأعمالهم وأفعالهم خاصة في فترة العصور الوسطى، وتمكنوا من تسجيل أسماءهم كشخصيات تاريخية مهيمنة في ذلك الوقت، للأسف الشديد القلة من الباحثين العرب من يهتمون بهذه الشخصيات كالقديس أغسطين وأبوليوس وغيرهما رغم أهميتها التاريخية، فحاولت جاهدة في هذه الدراسة إعادة احياء ذكرى هؤلاء مع هذه المدينة الرائعة والتي لا تزال لحد الآن لم تكتشف بأكملها، وأتمنى مستقبلا أن تدرس كل شخصية على حدة دراسة معمقة وينفض عليها الغبار الذي طال عليها.

نختم دراستنا بمقولة الكاتب والفيلسوف فولتير (1649-1778م)
متحسرا على عدم شهرة مدينة ومدرسة مادور في كتابه Dialogues et
entretiens philosophiques:

﴿إنها ملاحظة مخزنة للغاية، والتي لا شك فيها في كثير من الأحيان،
أن هذا الجزء من إفريقيا الذي أنتج في يوم من الأيام الكثير من الرجال
العظماء، والذي ربما كان منذ أطلس أول مدرسة للفلسفة، ليس معروفا
اليوم فقط من قبل قرصانها...﴾ (Voltaire, 1829, p.172).

¹ ترفييا: (جمع ترفييوم) معناها ﴿ثلاثة طرق﴾ وهي النحو، البلاغة،
المنطق. أما كودريقيا: بمعنى ﴿التعاليم الأربعة﴾ وهي الحساب، الهندسة
الرياضية، الموسيقى، علم الفلك. كلها مجمعة ﴿ثلاثة طرق﴾ مع
﴿التعاليم الأربعة﴾ يطلق عليها الفنون المتحررة أو الحرة، وهي بذلك
تكون الفنون السبعة والتي عرفها مارتينانوس أنها تشمل: النحو، الخطابة،
الهندسة، الحساب، الفلك والموسيقى.

² أعد Notker Labeo (ت. 1022م) ترجمة مجانية وشرحا للكتابين
الأول والثاني باللغة الألمانية القديمة، وترجمة أجزاء الانضباط من
الكتابين الخامس والتاسع كأطروحات ماجستير في جامعة كورنيل من
قبل L. W. Canlmin (1928م) و P.H. Copp (1937م).
(William, op.cit, p.102)

قائمة المصادر والمراجع:

- أوغسطينوس. (1991م). اعترافات القديس أوغسطينوس. (ترجمة الخوري يوحنا الجلو) ط. 4، بيروت، لبنان: دار المشرق.
- حماد. (2014-2015م). محاولة إعادة تشكيل مسرح مادوروس (سوق اهراس - الشرق الجزائري). مذكرة تخرج لتيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص صيانة وترميم. جامعة الجزائر 2 - معهد الآثار.
- علي خنتاوي. (2018م). الترجمة النقدية التأويلية ترجمة الكتب المقدسة. دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- كامل محمد عويضة. (1993م). أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية
- محمد بشير الشنيتي. (2002م). تحريات أثرية في شمال نوميديا - شبكة العمران مادور نوذجا -. الندوة العلمية الخامسة لاتحاد الآثاريين العرب. القاهرة، مصر: المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي.
- يوسف كرم. (2016م). تاريخ الفلسفة الأوروبية. بيروت، لبنان: دار القلم للطباعة والنشر.

Accardo, P. J. (2002). The Metamorphosis of Apuleius: Cupid and Psyche, Beauty and the Beast, King Kong. USA.: Fairleigh Dickinson Univ. Press.

Adkins, L. (2004). Adkins, Handbook to life in Ancient Rome. New York, USA.: Factson File.

Augustinus, A. (1864). Œuvres Complètes de Saint Augustin (Vol. 1). France: BAR-Le- Duc.

Apulée, Apologie- Florides (éd. 2nd). (1960). (P. Vallette, Trad.) Paris, France : Les Belle Letters.

Apuleius. (1915). The Golden Ass: Being the Metamorphoses of Lucius Apuleius. (W. Adlington, Trad.) London, UK.: Heinemann.

Apuleius. (2001). Apuleius Rhetorical Works. (S. Harrison, Trad.) New York, USA.: Oxford Univ. Press.

Augustin, S. (1838). Les confessions de Saint Augustin (Vol. 1). Bailly Fils Ainé.

Augustine, S. (2009). The Confession. (H. Chadwick, Trad.) USA.: Oxford Univ. Press.

Ben-Menahem, A. (2009). Historical Encyclopedia of National and Mathematical Science (Vol. 1). Springer.

Burton, E. (1831). A Description of the Antiquities and Other Curiosities of Rome. L. Molimi.

Cadotte, A. (2007). La Romanisation des dieux. Leyde, Pays-Bas: Brill.

Cavedoni, C. (1862). Souvenirs de l'ancienne Eglise d'Afrique. Ruffet, France: Libraire Catholique de perisse-freres.

Chaucer, G. (1908). Les Contes de Canterbury. (T. Bahans, Trad.) Paris, France : Félix Alcan.

Clark, G. (2015). Monica, An ordinary Saint. USA.: Oxford Univ. Press.

Finkelpearl, E. D. (2012). An Apuleius Reader: Selections from the Metamorphoses. USA: Bolchazy- Carducci.

Fleury, P. (24-25-26 mars 2016). Madaure : sur les traces d'Apulée et de Saint-Augustin. Festival Européen Latin Grec. 10ème édition. Lyon.; France conférence.

Freund, W. (1874). Triennium Philologicum. Germany: Verlag Von Wilhlem Violet.

Gagarin, M. (2010). The Oxford Encyclopedia of Ancient Greece and Rome (Vol. 1). USA.: Oxford Univ. Press.

Gaiser, J. H. (2008). The Fortunes of Apuleius and The Golden Ass. UK.: Princeton Univ. Press.

Goulet, R. (1989). Dictionnaire des philosophes antiques. CNRS.

Green, B. G. (2010). Shapers of Christian orthodoxy. USA.: InterVarsity Press.

Harrison, S. (2000). Apuleius: A Latin sophist. USA.: Oxford University Press.

Huard, A. V. (1984). Le Berbère lumière de l'occident. Paris, France: Nouvelle Editions Latines.

Kim, D. Y. (2012). Understanding Religious Conversion : The Case of St. Augustine. USA.: Wipf and Stock.

Kimball, B. A. (2010). The Liberal Art Tradition. USA.: niversity Press of America.

Knowles, A. (2004). Augustine and his world. London, UK.: A Lion Book.

Lancel, S. (2009). Saint Augustin, la Numidie et la société de son temps. Ausonius.

Lee, B. T. (2005). Apuleius Florida. Berlin, Germany: Walter de Gruyter.

Lindsay, J. (1960). The Golden Ass. USA.: Indiana Univ. Press.

Madaurensis, L. A. (1878). Œuvre Complètes d'Apulée (Vol. 2). (V. Bétolourd, Trad.) Paris, France: Garnier Frères.

McCarthy, o. (1976). Humanistic Emphasis in the Educational Thought of Vincent of Beauvais. Leiden, Holland: Brill.

Nettesheim, H. C. (2004). Three Books of Occult Philosophy. (J. Freake, Trad.) USA.: Liewellyn.

Pétrone, A. A.-G. (1851). Oeuvres Completes, de Titus Petronius Arbitr, Apuleius, Aulus Gellius. Paris, France: Doubochet.

Ptolemy, C. (1991). The Geography. (E. L. Stevenson, Trad.) New York, USA.: Dover Publication, INC.

Ross, L. (1996). Medieval Art. London, UK.: Greenwood Press.

Stahl, W. H. (1965). To a Better Understanding of Martianus Capella. USA.: University of Chicago Press.

Stammerjohann, H. (2009). Lexicon Grammaticorum. Tubingen: Max Niemeyer Verlag.

Traver, A. G. (2002). From Polis to Empire, the Ancient World. London, UK.: Greenwood Press.

Voltaire. (1829). Dialogues et entretiens philosophiques. Paris, France : Armand-Aubree.

Whitworth, P. (2017). Constantinople to Chalcedon. Durham, UK. : Sacristy Press.

Worth, M. H. (2013). Saint Augustine of Hippo. USA.: Oxford Univ. Press.

Zetzel, J. E. (2018). Compilers, and Commentators. USA.: Oxford Univ. Press.

الناصرية

الناصرية